عطوان: كيري ذهب الى الرياض لطمأنة حلفائه فزادهم قلقاً واكتئاباً

شدد الصحافي العربي البارز عبد الباري عطوان على ان وزير الخارجية الامريكي جون كيري ذهب الى الرياض لطمأنة حلفائه الخليجيين .. لكنه زادهم قلقا واكتئابا .

وتساءل في مقال نشره بصحيفته الالكترونية "راي اليوم" قائلا : لماذا لم ينطق (كيري) بكلمة واحدة ضد ايران ؟ و لماذا تجنب اي اشارة صريحة لدور الاسد في مستقبل سورية ؟ وما هي النصيحة التي وجهها للسعودية ؟ وهل ستأخذ بها ؟ ، داعيا السعوديين للعودة الى الرشد والتواضع قليلا والتصالح مع الشعوب والتمسك بثوابتها .

وكتب الصحافى عطوان : ان جون كيرى وزير الخارجية الامريكى حط الرحال السبت فى الرياض و التقى عاهلها الملك سلمان بن عبد العزيز ، و نجله الامير محمد بن سلمان ولى ولى العهد، وزير الدفاع ، وكذلك وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجى الست الذين جرى "استدعاؤهم" على عجل الى العاصمة السعودية ، بينما كان جو بايدن نائب الرئيس الامريكى يقوم بزيارة "موازية" الى انقرة ، و يلتقى رئيس وزرائها احمد داوود اوغلو، ويختتم زيارته بالاجتماع بالرئيس رجب طيب اردوغان فى قصره الرئاسى "العثمانى" الغارق فى الفخامة والبذخ .

الهدف من زيارة الاول ، اى كيرى ، هو طمأنة حلفائه الخليجيين وتبديد القلق ، وربما الهلع الذى يراودهم من جراء رفع الحصار المفروض على ايران تطبيقا للاتفاق النووى، واحتمال ان يميل "القلب" الامريكى الى الحليف الايرانى الجديد، ويهجر احباءه القدامى ، الذى انخرط فى تعاون استراتيجى معهم لاكثر من ستين عاما، وخاض

حروبهم و"حرر" ما احُتل من اراضيهم .

اما الهدف من زيارة الثانى، اى بايدن، فهو تجديد المحاولات والضغوط الامريكية لاقناع القيادة التركية بالدخول فى حرب برية يجرى الاعداد لها ، للقضاء على "داعش" فى كل من العراق وسورية وليبيا، وهذا ما يفسر تصريحاته التى قال فيها انه "مستعد لحل عسكرى ضد هذه "داعش" اذا اخفقت الحكومة السورية والمعارضة فى التوصل الى حل سياسى ، وحرض مسؤول امريكى مرافق له الى التصحيح و التأكيد بأن الحل العسكرى سيكون محصورا فى تصفية "داعش" ، وليس لكل سورية .

ربما يكون من الصعب التعرف على ما اذا كانت مهمة وزير الخارجية الامريكى قد حققت هدفها فى تبديد مخاوف حلفائه الخليجيين ، لان كل ما قدمه المسؤول الامريكى هو "حلو الكلام" ، مثل القول "لدينا علاقات صلبة، تحالف واضح، وصداقة قوية مع السعودية"، بينما آلاف من مندوبى الشركات والبنوك الامريكية والاوروبية يتدفقون على العاصمة الايرانية بحثا عن العقود والصفقات الدسمة ، ومعهم 32 مليار دولار وفوقها الفوائد جرى فك تجميدها تطبيقا للاتفاق النووى . ما لا يدركه المسؤولون الخليجيون ان المصالح هى التى تتحكم و ترسم خطوط السياسة الخارجية الامريكية ، و تحدد طبيعة تحالفاتها وليس "المبادىء"، والا لما تفاوض كيرى ومساعدوه مع ايران لمدة ستة اشهر فى سلطنة عمان ، بينما يحشدون حاملات الطائرات فى المياه الخليجية ، ويبيعون ما قيمته عشرات المليارات من الدولارات من الاسلحة لدولة للايحاء بأن الحرب باتت مسألة اسابيع فقط . نقول هذا الكلام استنادا لتصريح ادلى به السيد عادل الجبير ، وزير الخارجية السعودى، اثناء مؤتمر صحافى عقده مع نظيره الامريكى الزائر ، وقال فيه : "انا لا ارى امريكا جنبا الى جنب مع ايران التى لا تزال الداعم الاول للارهاب فى العالم" ، لكنه يرى ان وقوفها جنبا الى جنب مع «اسرائيل» امرا عاديا ومقبولا. السيد الجبير ارتكب خطأ كبيرا ، فى هذا التصريح ، ونسى ، او تناسى، ان الداعم الاول للارهاب هو الولايات المتحدة الامريكية عندما كانت الحليف الاوثق لبلاده والدول الخليجية ، فهى التى دعمت الارهاب «الاسرائيلى» ، وما زالت، وهى التى قتلت مليون عراقى اثناء غزوها للعراق واحتلاله، وهى التى هيأت البيئات الحاضنة له فى افغانستان والعراق وليبيا وسورية ، عندما حولت خمس دول عربية الى دول فاشلة، وتأتى بعدها «اسرائيل» حليفها الاوثق التى تقتل وتحاصر دون توقف ، و آخر ضحاياها شهيدة فى الثالثة عشرة من عمرها بتهمة محاولة طعن جندى «اسرائيل» ، واذا كانت ايران دولة داعمة للارهاب ، فلا نعتقد انها تتقدم على امريكا و«اسرائيل» ، اللهم الا اذا كان مفهوم السيد الجبير للارهاب و تصنيفاته يختلف عن مفهوم الغالبية الساحقة من العرب والمسلمين .

الولايات المتحدة اختارت الحوار مع ايران لان بديله الحرب ، وهى لا تريد ان تخوض حربا ضد دولة تصنّع معظم اسلحتها ، وتملك قاعدة صناعية قوية، قادرة على الدفاع عن نفسها لسنوات ، وربما لعقود، وتطلق اقمارا صناعية الى القمر، وتجيد اللعب بالغالبية العظمى من اوراقها الدولية والاقليمية ، وتنتخب برلمانها ورئيسها مباشرة عبر صناديق الاقتراع ، حتى لو كان معارضا ، مثل حسن روحانى .

السعودية ومعها الدول الخليجية الخمس الاخرى شكلت تحالفا عربيا من عشر دول للقضاء على "عملاء" ايران فى اليمن، واسست تحالفا اسلاميا سنيا من 34 دولة ، بينها قوة نووية هى باكستان، وانشأت مجلس تعاون ذا طابع

استراتيجى مع تركيا، فلماذا كل هذا القلق والهلع ، ولماذا تحتاج الى الوزير كيرى لطمأنتها وتبديد مخاوفها، وخداعها ببعض الكلام المعسول، عن العلاقات الصلبة والصداقة القوية معها ؟

لا الامريكان، ولا غيرهم، سيخوضون حروب السعودية والدول الخليجية فى الوقت الراهن، لان ما كان يحدث قبل ربع قرن (حرب الكويت) ، لا يمكن تكراره هذه الايام ، فأمريكا لم تعد بحاجة الى نفط الشرق الاوسط، والخزائن باتت فارغة بعد تراجع اسعاره ، ولجوء دوله ، او معظمها، الى التقشف والاستدانة، وفوق هذا وذاك، ان هناك قوة عظمى جديدة استعادت، او على وشك، مكانتها، وعادت الى الشرق الاوسط بقوة ، واصبحت منافسا قويا للولايات المتحدة التى لم تعد تصول وتجول فيها دون منازع ، ونقصد بذلك روسيا بوتين.

احد المسؤولين المرافقين للوزير كيرى اثناء زيارته الى الرياض قال بضع كلمات، نقلتها وكالة رويترز العالمية ، تلخص الموقف برمته "نأمل ان تعيد السعودية فتح سفارتها فى طهران ، وان يتوصل الايرانيون والسعوديون الى طريقة للتعايش" . انها دعوة او "نصيحة" للسعودية بفتح قنوات حوار مع ايران لتسوية كل القضايا العالقة ، تماما مثلما فعلت الحكومة الامريكية ومعها خمس دول دائمة العضوية فى مجلس الامن الدولى باستثناء المانيا ، ولسان حال هذا المسؤول يقول "هل انتم اعظم من امريكا او اكثر قوة منها وهذه الدول الخمس؟" . فاذا كان هذا هو حالكم فتفضلوا .. وا معكم .

كيرى لم ينطق بكلمة واحدة سيئة ضد ايران اثناء زيارته للرياض، وكل ما قاله مجاملة لمضيفيه ان بلاده تختلف معها فى بعض القضايا "مثل دعم جماعات ارهابية و مشروعها لتصنيع صواريخ بالتسية" ، ولم يكرر اقواله السابقة حول عدم شرعية الرئيس بشار الاسد ، او ان ايامه معدودة ، و اكتفى بالقول انه ، اى الرئيس الاسد، "مغناطيس يجذب الجهاديين" . و رش المزيد من الملح على الجرح السعودى عندما اختتم تصريحه بالقول "ان مؤيديه يقولون انه جزء من مستقبل سورية وهذا ببساطة غير ممكن" .

فى تقديرنا ان هذه التصريحات "الدايت" ، او المخففة جدا وغيرها، لم تبدد القلق السعودى الخليجى بل حولته الى اكتئاب مزمن ، و نوبات تشنج عصبى (attacks Panic) ، او هذا ما يمكن قراءته بين السطور .

افتحوا قنوات الحوار مع ايران ، وتوصلوا الى تفاهمات حول جميع القضايا العالقة، واعملوا على الامساك بأسباب القوة فى الوقت نفسه، وانسوا امريكا التى طعنتكم فى الظهر، واعتمدوا على انفسكم وصنعوا اسلحتكم وملابسكم واحتياجاتكم، وبعد ذلك لكل حادث حديث.

قدمتم مبادرة سلام لـ«اسرائيل» قابلتها بالاهمال والاحتقار، وما زالت، فما المانع ان تفعلوا الشيء نفسه مع دولة جارة مسلمة ؟ خاصة ان الرئيس صدام الذى حاربها نيابة عنكم ولحمايتكم لم يعد موجودا، ولا جيشه، الذى حاربها ثمانى سنوات، ورقص معظمكم فرحا وطربا لقرار بول بريمير الحاكم العسكرى للعراق فى بداية الاحتلال بحله والزج بجنرالاته وعقدائه وجنوده فى الشارع ثأرا وانتقاما .

من فضلكم عودوا الى رشدكم .. وتواضعوا قليلا.. وتصالحوا مع شعوبكم وامتكم.. وتمسكوا بثوابتها وحينها سيكون الجميع امامكم دون اى استثناء.